

أضواء البيان

@ 165 @ الآية أصل في الهجرة والعزلة ، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام ، وذلك حين خلصه الله من النار قال : { إِنَّنِي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي } أي مهاجر من بلد قومي ومولدي ، إلى حيث أتمكن من عبادة ربي { فَإِنَّنِي سَيِّدُهُدِينَ } فيما نويت إلى الصواب . وما أشار إليه جل وعلا من أنه بارئ العالمين في الأرض المذكورة ، التي هي الشام على قول الجمهور في هذه الآية بقوله : { إِلَهِي الْأَبَدِيُّ رُضِيَ السَّعْيُ بَارَكُنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } بينه في غير الموضع . كقوله : { وَلَيْسَ لِي مَانُ الرَّيْحِ عَاصِفَةٌ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَهِي الْأَبَدِيُّ رُضِيَ السَّعْيُ بَارَكُنَا فِيهَا } ، وقوله تعالى : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَهِي الْمَسْجِدِ الْأَبَدِيُّ قَوْمِي الَّذِي بَارَكُنَا حَوْلَهُ } . ومعنى كونه (بارئ فيها) . هو ما جعل فيها من الخصب والأشجار والأنهار والثمار . كما قال تعالى : { لَفَتَدَحْنَاهُ عِلَاقَهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ومن ذلك أنه بعث أكثر الأنبياء منها . .

وقال بعض أهل العلم : ومن ذلك أن كل ماء عذب أصل منبعه من تحت الصخرة التي عند بيت المقدس . وجاء في ذلك حديث مرفوع ، والظاهر أنه لا يصح . وفي قوله تعالى : { إِلَهِي الْأَبَدِيُّ رُضِيَ السَّعْيُ بَارَكُنَا فِيهَا } أقوال أخر تركناها لضعفها في نظرنا . . وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الفرار بالدين من دار الكفر إلى بلد يتمكن فيه الفار بدينه من إقامته دينه واجب . وهذا النوع من الهجرة وجوبه باق بلا خلاف بين العلماء في ذلك . قوله تعالى : { وَوَهَبْنَاهُ لِهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه وهب لإبراهيم ابنه إسحاق ، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وأنه جعل الجميع صالحين . وقد أوضح البشارة بهما في غير هذا الموضع ، كقوله تعالى : { وَآمَرْنَا تُهً قَائِمَةً فَضَحَكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهُمْ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } ، وقوله : { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } . وقد أشار تعالى في سورة (مريم) إلى أنه لما هجر الوطن والأقارب عوضه الله من ذلك قرعة العين بالذرية الصالحة ، وذلك في قوله : { فَلَمَّا آتَتْ زَلَّتْ لَهُمْ وَمَا يَعْزُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَوَهَبْنَاهُ لِهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا } . . وقوله في هذه الآية الكريمة : { نَافِلَةً } قال فيه ابن كثير : قال عطاء ومجاهد :

نافلة عطية . وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عتيبة : النافلة : ولد الولد ، يعني أن